النشـــــــــــرة

تصــــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٤٩ / ١٩٩٨

الأحد ٦ كانون الأول

أبينا الجليل في القديسين

نيقولاوس العجائبي

أسقف مدينة ميرا في ليكية

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الرابع

الـــرســـالـــة (عبرانيين ١٣ : ١٧ – ٢١)

الإنـــجـــيـــل (لوقا ١٣ : ١٠ – ١٧)

+ القديس نيقولاوس

تعيّد الكنيسة المقدّسة الجامعة في السادس من كانون الأول لتذكار أبينا الجليل في القديسين نيقولاوس رئيس أساقفة ميرا في ليكيا، جنوبي غربي آسيا الصغرى أو ما يعرف بالأناضول وهي "دمري" الحالية. كان نيقولاوس نموذجاً للراعي الصالح لذلك صار في الكنيسة صورة لكل أسقف حافظ الإيمان، يرعى أبناءه بتفانٍ. والكنيسة، في صلواتها – السَحَر والغروب – في كل خميس من كل أسبوع وعلى مدار السنة، تكرّم الأساقفة بشخص القديس نيقولاوس فتطلب شفاعته من أجل المؤمنين.

تنوّعت تقاليد إكرام القديس نيقولاوس فصار قديساً لكل ظرف وحاجة. فهو شفيع التلامذة والأولاد العاقلين والفتيات اللواتي لا مهر لهن والبحّارة والصيادين والعتالين وباعة النبيذ وصنّاع البراميل والتجار والبقالين والقصابين والمسافرين والحجاج والمظلومين والمحكومين والأسرى والصرّافين وغيرهم. ونيقولاوس كلمة يونانية تعني الشعب ينتصر.

ولد نيقولاوس في النصف الثاني من القرن الثالث في باتارا، على بعد ثلاثة أميال من ميرا. كان والداه أبيفانوس ونونا غنيين جداً مادياً كما كانا غنيين في الفضائل المسيحية السامية، حتى أن الشعب كان يلقّب والده "أبو الفقراء" لكثرة عطاءاته. ويبدو أنه ولد بعد فترة طويلة من زواج والديه واعتبر مولده عطية من الله إذ أن عم الطفل، الأسقف نيقولاوس، عندما كان يؤدي صلاة الشكر على ولادته ظهرت له رؤيا سماوية يعلن الله له فيها أن الطفل سيبهج الكنيسة بفضائله وأعماله الصالحة. وهكذا تربّى نيقولاوس بخوف الله وبزرع فضائل الله في قلبه. عندما كان طفلاً كانت لذته الوحيدة وبهجة قلبه أن يذهب للصلاة في الكنيسة في أوقات الصلاة وغيرها، كما تميّز بنجاحه الباهر في علومه المدرسية واعتبر لاحقاً في عداد رجال الحكمة والفلسفة.

عندما توفي والداه حزن ولكنه شرع في استخدام الأموال التي ورثها في عمل الخير. ويحكى أنه علم بأمر رجل كان غنياً وقسا عليه الدهر فافتقر وكاد يصل به الأمر إلى دفع بناته الثلاث نحو الزنى لكسب المعيشة، فملأ كيساً من النقود والذهب وألقاه من طاقة منزل ذلك الرجل. شكر الرجل الله وزوّج ابنته الأولى لشاب طيِّب بعدما جهّزها. وإذ رأى القديس حسن استعمال الرجل للنقود رمى له كيساً آخر فزوّج ابنته الثانية. وفي المرة الثالثة إنتظر الرجل مجيء نيقولاوس حتى يتعرف عليه ويشكره. حزن نيقولاوس لأن الرجل عرفه فتوسّل إليه ألاّ يعلم أحداً بالأمر، وهكذا كان، وزوّج الرجل ابنته الثالثة.

طالب الشعب بنيقولاوس كاهنا لهم، فشرطنه عمّه (الأسقف) على بلدته باتارا.وعندما ذهب الأسقف لزيارة الأماكن المقدسة في القدس أوكل الى نيقولاوس إدارة الأبرشية فكان خير وكيل. بعد عودته من الحج لم يعش عمّه طويلاً وانتقل الى جوار ربّه. خاف نيقولاوس من أن ينتخبه الشعب خليفة لعمّه فقرّر الهرب وصعد الى سفينة متوجّهة الى أورشليم وانتُخب الأسقف يوحنا خلفاً لعمّه. في البحر حصلت رياح شديدة وعواصف وكاد المركب يغرق. صلّى نيقولاوس الى الله فهدأت العاصفة. ولهذا صار شفيعاً للبحّارة، حتى أن البحّارة اليونان يضعون أيقونته في كل سفنهم. في أورشليم عاش منفرداً في مغارة يقول التقليد ان يوسف ومريم والطفل يسوع لجأوا إليها ليلة هربهم الى مصر. وفي رؤيا طلب الله منه العودة الى ميرا. فأطاع وعاد وعاش مع جماعة متوحدين منقطعين عن العالم. بعد فترة توفي الأسقف

يوحنا ولم يستطع آباء الكنيسة إختيار خلف له. فاتفقوا على ان أول كاهن يدخل الكنيسة فـــي الصباح يكون الله قد أرسله لهم. وفي الصباح دخل قديسنا، الكنيســـة للصـــلاة ، دون علمـــه بالأمر، فتمسّك به الآباء ليكون رئيس أساقفتهم. توسّلهم فرفضوا معتبرين ان الله انتخبه لـــهم. اثناء سيامته جاءت اليه إمرأة بطفلها الذي سقط في موقدة النار ومات ، متوسلة إليه في شـــأن الطفل.صلّى نيقولاوس ورسم إشارة الصليب على الطفل فعاد حيّاً. فقـــدم الشـــعب التســـبيح والشكر لله.

كان مثال الراعي الصالح في الصلاة والخدمة والوعظ والمعيشة. كان يقضي معظـــم لياليه أمام مذبح الرب متضرّعاً لأجله ولأجل الشعب. ويحكى انه عندما كان يقـــدّم الذبيحـــة الإلهية، كان وجهه يشعّ بالنور المقدس. كان يعمل على الاهتمام بحاجات رعيتـــه فيصـــرف مداخيل الكنائس على خدمة الفقراء والمرضى والمساجين. أما مواعظه فقد حركت الإيمان في نفوس الكثيرين. كما انه مارس التقشّف والصيام كالرهبان وأكثر.

عانى نيقولاوس من الإضطهاد من أجل إيمانه المسيحي على عـــهد الإمـــبراطورين ديوكليتيانوس ومكسيميانوس (أوائل القرن الثالث). رفض إنكار المسيح واعترف بـــه علنـــاً. قّبض عليه ونُفي مثقلا بالحديد ، وكان يُضرب يومياً بالسياط الموجعة وبقي منفياً الى حيـــن إنتصار المسيحية على عهد قسطنطين الكبير. ولما حاول الشيطان محاربة الكنيسة عبر بدعـة آريوس كان من أوائل المشتركين في أعمال المجمع المسكوني الأول عـــام ٣٢٥ الـــذي أدان هذه البدعة.

جرت على أيدي القديس نيقولاوس عجائب كثيرة من شفاء مرضى وإقامــــة موتـــى وإكثار غلاّت المزارعين وإنقاذ السفن الغارقة. ويقال أنه أوحى يوما في الصلاة إلى ســـفينة محملة بالقمح كانت في عرض البحر فاتجهت صوب مقاطعة ليكية التي كانت قد حلّــت بـــها مجاعة عظيمة. ويحكى أنه عندما قامت ثورة على الملك قسطنطين في فيريجيا، أرسل الملـك ثلاثة قادة لسحق الثورة ففعلوا. ولكن الحساد أقنعوا الملك ووزيره بأن الثلاثة متـــآمرون مـــع الثوار، فأمر بقطع رؤوسهم في اليوم التالي. خلال الليـــل صلـــى الثلاثـــة وطلبـــوا شـــفاعة نيقولاوس. فظهر القديس في الحلم للملك والوزير وأعلن براءة هؤلاء، فأطلقاهم في الصبـــاح التالي.

علم نيقولاوس بقرب انتقاله إلى جوار الرب عبر رؤية سماوية ففرح فرحاً عظيمـــاً. إحتفل بالقداس الإلهي وودع الشعب وانفرد في الدير حيث اعتراه المرض لأيام وجيزة. وبعـد تناول الأسرار المقدسة سلّم نفسه للربّ ودُفن داخل الكنيسة في ميرا. وكـــان جســـده يفيـــض

الطيب على الدوام. وقد داهم قراصنة من باري الإيطالية مدينة ميرا عـــام ١٠٨٧ وســرقوا جسد نيقولاوس ونقلوه إلى باري حيث كان يفيض الأشفية لمكرّميه دائماً.

من عجائبه، أن رجلاً تقياً إسمه يوحنا عاش في القرن التاسع أُنقذ من الغرق بشفاعة القديس نيقولاوس بعدما وقع في مياه بحر القسطنطينية من سفينته التي ضربتــها العاصفــة. بعدما وجد نفسه في الماء وشارف على الغرق صرخ يا قديس الله أعنّي، فنقله القديــس إلــى بيته وكان مبللاً بالماء. وذاع الخبر في كل القسطنطينية فسبّحوا الله في قدّيسيه.

تكرم القديس في هذا اليوم كافة كنائس الشرق والغرب، الأرثوذكســية والكاثوليكيــة والمارونية والسريانية والأرمنية. نذكر أن إسم القديس نيقولاوس عند الموارنة هو "زخيــا"، وهو إسم سرياني قريب بمعناه من إسم القديس نيقولاوس. فبشفاعة قديسك العظيم اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.

+ طريق التوبة

في إطار احتفالات معهد القديس يوحنا الدمشقي للاهوت بعيد شفيعه ألقى سيادة راعــي الأبرشية المتروبوليت الياس، مساء السبت ٢٨ تشرين الثاني، في قاعة دير البلمند، محاضرة بعنوان "طريق التوبة".

رسم سيادته مسيرة الإنسان منذ خلقه على صورة الله ومثاله وحياته فــي الفــردوس حيث "لم يعرف السؤال لأنه كان يرى ويسمع ... وكان ملتحفــاً بــالمجد الإلــهي، بــالنور السماوي، يرى أمر الله حاصلاً، متجسداً. كان الإنسان مخطوفاً نظره الى مشيئة الله..." ، إلى السقوط عندما " انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان " (تك٣:٧). في هذا الكــلام تــهكّم لأن أعينهما انغلقت على دواخلهما ولم يجدا شيئاً في داخلهما ، ورؤيتهما عوض أن تكون خاضعة لنور الرب، أي لمجده ، أصبحت خاضعة لنور العقل الزائل لذا أدركا عزلتهما. قبلاً كــان آدم يرى حواء عظماً من عظامه ولحماً من لحمه ، وكانا جسداً واحداً. هذا قبل السقوط. أما بعــده فراح الواحد يستحي من الآخر، يعي الواحد الآخر منفرداً عنه اي لم يعد واحداً معه. أصبــح هناك ثانٍ وقد يصبح الثاني ثانوياً. هذه الحال تؤدي الى الخصام والحسد كما سنرى في حــال الأخوين قايين وهابيل...".

ثم وصف سيادته محبة الله للإنسان لذا " لم يزل متكلّماً. لم يترك الإنسان تائــهاً الا اذا شاء الإنسان نفسه ذلك. السؤال: هل يريد الإنسان أن يسير بحسب مشيئته أم بحسب مشــيئة الله؟ هل يريد ان يستعيد المجد الذي فقده ؟ ... الله ينقذ الإنســان مــن الركــود والمــوت، والإنسان ، في توجّهه بالله يتحوّل من مجد الى مجد، ينتقل من أرض مصر، أرض العبوديــة،

الى أرض الميعاد، أرض الحرية... آدم بدءاً كان في تأمل دائم في مشيئة الله أما الآن ، بعد السقوط، فعليه الرجوع عن تيهه باستقامة الكلمة. عليه إخضاع مشيئته لمشيئة الله، وفي كل طاعة تجسد، وما هذه التجسدات المتكررة الا علامات تشير الى تجسد ابن الله الكلمة في يسوع المسيح الذي هو صورة الله (٢ كور ٤:٤ ، كو ١:١٥)... المسيح في آلامه، منذ البدء، يخضع الطبيعة البشرية لمشيئة الرب الآب... يسوع أتى ليفعل مشيئة أبيه و"من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي " (متى ١٢:٥٠)... "والذي من الله يسمع كلام الله "
(يو ٨:٢٧) والذين يسمعون كلمة الله يضحّون بكلمتهم ويكرّسون ارادتهم لله... تلميذ المسيح لا يستطيع أن يشاكل أبناء هذا الدهر. عليه أن يجاهد الجهاد الحسن والروح نفسه يعمل فيه من أجل مسرّة الآب: " العالم يمضي وشهوته واما الذي يصنع مشيئة الله يثبت الى الأبد" (١ يو ٢:١٧)...

الإنسان خلق للمجد وهذه كانت حاله مع الله قبل السقوط. الحياة بعد السقوط نسك دائم لاستعادة هذا المجد الذي خسره الإنسان بانفصاله عن الله لذا يقول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثس "لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً، لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً" (٢كور ٤: ١٦-١٧)، وهذا المجد الأبدي نستعيده إن كنا "ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة، نتغيّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد..." (٢كور ٣: ١٨).

هذه الدينامية التي تميّز الحياة في المسيح ناتجة عن أن المسيح هو صورة الآب الكاملة (كو ١: ١٥)، والآب يظهر صورة ابنه في جميع الذين يشتركون في بنوّته بالروح القدس (أنظر رو ٨: ١٤-١٦). هذه المطابقة لصورة الابن تتمّ بتحوّل داخلي تدريجي، ولا تكون كاملة وتامة إلا عند مجيء ربنا يسوع المسيح: "وكما لبسنا صورة الترابي نلبس أيضاً صورة السماوي" (١كور ١٥: ٤٩).

طريق الإنسان إذاً إلى المجد الإلهي، إلى الصورة الأولى، أن ينظر إلى يسوع في كل حين لئلا يغرق، وأن يعمل وصاياه كافراً بنفسه وحاملاً الصليب لأنه "من أراد أن يخلّص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلّصها" (مر٨: ٣٥). حياة المسيحي أو المدعو من الله سيرورة نحو النور بدون توقف أو رجوع إلى الوراء بحسب قول الرب "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله" (لوقا ٩: ٦٢) وقول تلميذه بولس "أنسى ما هو ورائي وأمتد إلى ما هو قدام" (في ٣: ١٣). يبقى الصعود إلى أورشليم العلوية بالصليب هو الطريق الخلاصي. الصليب هو باب السماء وعربون

الكمال. الصليب هو الشاهد الأوحد الذي يضيء الطريق للآخرين، وختم المحبة التي سكبها المسيح في قلوب المؤمنين. الصليب طريق المجد: "قد أتت الساعة ليتمجّد ابن الإنسان" (يو ١٢: ٢٣)، هو الخروج الحقيقي من أرض العبودية إلى أرض الميعاد، أرض الحرية، كما سمعنا على جبل التجلّي. هكذا طريق التوبة هي مسيرة تنقية وتطهّر لتظهر صورة المسيح التي فينا. والصورة تتجلي بمقدار ما نحيا المسيح والمسيح يحيا فينا فنؤكد أن الإنسان هو صورة الصورة الإلهية. الإنسان هو أيقونة المسيح ونحن مدعوون أن نكون هذه الإيقونة.

+ تأمل

بعد صعود السيّد رجع التلاميذ كما كتب في الإنجيل بفرح عظيم (لو ٢٤: ٥١).

إن السيّد الرب يدرك ماهية الفرح الذي أعطاهم إيّاه، ونفوسهم خبرت هذا الفرح بقوّة. كان فرحهم الأول معرفة السيّد الحقيقي، الرب يسوع المسيح. والفرح الثاني كان في محبّته. والفرح الثالث كان ذوق الحياة الأبدية والحياة السماويّة. والفرح الرابع كان شهوة خلاص العالم كما لأنفسهم. أخيراً، كانوا في الفرح لأنهم عرفوا الروح القدس وشهدوا كيف عمل فيهم.

جاب الرسل الأرضَ وخبّروا الشعوب عن الرب وعن ملكوت السماوات، لكن نفوسهم كانت دائما تتوق لرؤية السيّد. لم يخافوا الموت بل انطلقوا بفرح لملاقاته، وإذا ما تاقوا إلى العيش في العالم، فذلك حباً بالبشر لخلاصهم.

أحبّ الرسل الربَّ، لهذا لم يجزعوا من أي مصيبة. أحبّوا السيّد، لكنهم أحبّوا البشر أيضاً، وهذا الحب نزع منهم كل خوف. لم يخافوا، لا المحن ولا الموت، لهذا أرسلهم السيّد ليعلّموا وينيروا البشريّة.

حتى يومنا هذا، نجد رهباناً يختبرون الحب الإلهي ويتوقون إليه ليل نهار، وهؤلاء يخدمون العالم بصلواتهم وبكتاباتهم. لكن هذه المهمة تبقى ملقاة بالأصل على كواهل معلّمي الكنيسة الذين يحملون في أنفسهم نعمة عظيمة، لو أراد الناس رؤية شعاعها، لكان العالم كلّه في الدهش، لكن السيّد أخفى هذه النعمة عن عباده، حتى لا يستكبروا، فيخلصوا بالتواضع.

إن السيّد يدعوا الأساقفة لرعاية قطيعه، وهو يمنحهم نعمة الروح القدس مجاناً. وقد قيل أن الروح القدس ثبّت الأساقفة في الكنيسة وهم يملكون بالروح القدس النعمة والقدرة على ربط الخطايا وحلّها. أما بالنسبة لنا، فنحن خراف السيّد الذين أحبّهم حتى المنتهى وأعطانا الرعاة القدّيسين.

هم خلفاء الرسل، وبالنعمة المعطاة لهم قادونا إلى المسيح وأرشدونا إلى التوبة وعلّمونا حفظ وصايا السيّد. أوصلوا لنا الكلام الإلهي حتى نعرف الحب، ودلّونا إلى دروب الخلاص وهم يساعدوننا على الارتفاع حتى أعالي التواضع السيّدي الإلهي ويجمعون في حضن الكنيسة خراف المسيح المعذبين المتألمين والذين ابتعدوا حتى تلقى نفوسهم الراحة في الله.

والرعاة يصلّون لأجلنا حتى نخلص كلّنا. وهم يقدرون، كأصدقاء المسيح، أن يترجّوا السيّد من أجل الأحياء كي يعطيهم التواضع ونعمة الروح القدس، ومن أجل الأموات، غفران الخطايا، ومن أجل الكنيسة جمعاء، السلام والحرية.

يحمل الرعاة في أنفسهم الروح القدس، وبالروح القدس يغفرون خطايانا. لقد عرف الرعاة السيّد بالروح القدس، كما يعاين الملائكة الله، وهم أقوياء بالروح لدرجة يمكنهم معها انتزاع أرواحنا من مستوى الأرضيات وتثبيتها في الملكوت عند السيّد.

إنهم يحزنون ويشقون عندما يرون أننا أغضبنا الله وبهذا حرمنا الروح القدس من السكنى فينا. على أكتافهم تلقى آلام البشريّة جمعاء، ونفوسهم منجذبة بالحب الإلهي، وهم يصلّون بلا انقطاع حتى نجد التعزية في أحزاننا، والسلام لكل العالم. فبصلواتهم الحارّة يجذبوننا نحن أيضاً لخدمة الله.

إن السيّد يحبّهم لأجل تواضعهم ومحبّتهم للبشر، وهم ملتزمون بصراع عظيم وبالنسك، لهذا نجدهم ممتلئين معرفة حقيقية للقدّيسين الذين هم مثالهم في الحياة هذه.

أحبّنا السيّد لدرجة تألم فيها لأجلنا على الصليب. بالطريقة عينها، يتألم رعاتنا لأجلنا، رغم عدم وعينا آلامهم. وكلّما عظم حب الراعي، كلما عظمت آلامه، وعلينا نحن الخراف فهم هذا وإكبار رعاتنا وحبّهم.

يا إخوة، لنجتهد في طاعة رعاتنا حتى يعمّ السلام في كل مكان، فيسكن السيّد في كل نفس منّا بالروح القدس.

عظيم هو شخص الكاهن، خادم مذبح الرب. أما الذي يغضبه فإنه يغضب الروح القدس الساكن فيه.

ماذا نقول إذاً عن الأسقف؟ لقد أعطيت لهم (الأساقفة) نعمة كبيرة بالروح القدس، وجعلوا أعلى من الجميع وهم مثل النسور يحلّقون في الأعالي، ومن هناك يكشفون الأمداء الممتدة التي لا نهاية لها، وبفضل معرفتهم اللاّهوتية يهدون قطيع المسيح.

ألم يُقل ويُكتب بأن الروح القدس أنشأ الرعاة الأساقفة في الكنيسة، لكي يرعوا قطيع المسيح (أع ٢٠: ٢٨)؟ لو يتذكر المؤمنون هذا، لكانوا يحبّون رعاتهم ولكانوا يتهلّلون من صميم قلوبهم عند رؤية واحد منهم... إني أتحدّث عن الأسقف الحامل نعمة الروح القدس فيه.

القديس سلوان الآثوسي